

تاريخ الدولة المهدية من خلال كتابات أبو سليم

قسم التاريخ - كلية العلوم الانسانية - جامعة بحري

د. عبد العزيز محمد موسى

قسم التاريخ- كلية الآداب - جامعة الإمام المهدي

د. الصادق عبد الرسول مهدي

مستخلص :

مما لا شك فيه يعتبر المؤرخ أبو سليم حجة في تاريخ المهدية وذلك من خلال كتاباته وابحاثه عن تلك الحقبة التاريخية المهمة من تاريخ السودان، اعتمد في الأساس على الوثائق، والتي وقعت بين يديه وخاصة انه ظل مديراً لدار الوثائق السودانية المصدر الأول لدراسات لتاريخ السودان، لفترة امتدت أربعين عاماً (1955م-1995م). ومن خلال هذه الورقة سنتناول كتابات الو سليم عن المهدية، خاصة انها غطت العديد من الجوانب المختلفة، وكانت الأساس الذي ارتكز عليه العديد من الباحثين الأجانب والسودانيين في تغطية هذه الحقبة التي تعتبر بكل المقاييس، اهم فترة في تاريخ السودان السياسي الحديث. من أسباب اختيار الدراسة : دراسة علمية منهجية حول مؤلفات أبو سليم عن تاريخ الدولة المهدية. إبراز الدور المهم الذي لعبته تلك المؤلفات في التعريف بتاريخ تلك الحقبة من تاريخ السودان الحديث. تنبع أهمية الدراسة لأنه يتناول تاريخ أول دولة وطنية للسودان بشكله الحديث، من خلال مؤلفات عالم جليل ومؤرخ كبير، اتسمت كتاباته بالدقة والتحليل والموضوعية، معتمداً على الوثائق الأولية. تهدف الدراسة القاء الضوء على كتابات احدي المؤرخين السودانيين الوطنيين حول حقبة من تاريخ السودان وهو نموذج لمساهمات الأكاديميين الوطنيين في حفظ تاريخ هذه الأمة من الضياع. اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي التحليلي.

الكلمات المفتاحية : تاريخ المهدية ، أبوسليم ، دار الوثائق.

Abstracts :

Undoubtedly, the historian Abu Salim is considered an argument in the history of the Mahdist, through his writings and research on that important historical period in the history of Sudan. Forty years (1955- 1995).Through this paper, we will address the writings of Alo Salim on the Mahdia, especially as it covered many different aspects, and was the basis on which many foreign and Sudanese researchers relied in covering this era, which is by all accounts the most important period in the modern political history of Sudan. Among the reasons for choosing the study: A systematic scientific study on Abu Salim's writings on the history of the Mahdist state. To highlight the important role played by these books in defining the history of that era in the modern history of Sudan. The importance of the study stems from the fact that it deals with the history of the first national state of Sudan in its modern form, through the writings of a great scholar and historian, whose writings were characterized by accuracy, analysis and objectivity, relying on primary documents. The study aims to shed light on the writings of one of the Sudanese national historians about an era in the history of Sudan, and it is an example of the contributions of national academics in preserving the history of this nation from being lost. The study followed the analytical historical research method.

Keywords: History of the Mahdia, Abu Salim, House of Documents

مقدمة:

شكل قيام دولة المهدية التي امتدت من الفترة 1881م إلى العام 1898م منعطفاً مهماً في الكتابات التاريخية التي تعتمد على الوثائق بشكل أساسي، وذلك من خلال الكمية الكبيرة من الوثائق التي تركتها، وهي تتناول العديد من الموضوعات الخاصة بدولة المهدية، سواءاً ان كان من الناحية الدينية، او الناحية الإدارية التي نظمت الدولة عقب تحرير الخرطوم في 26 يناير 1885م.

وقد استطاعت دار الوثائق السودانية، ومنذ نشأتها في عام 1948م تحت مسمى محفوظات السودان، ان تقوم بعملية جمع وتصنيف تلك الوثائق على أسس علمية، ساهمت بشكل مباشر في أن يستفيد منها الباحثين والأكاديميين في إجراء بحوثهم عن تلك الحقبة، وقد برز الكثيرين منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور مكي الطيب شبكية⁽¹⁾ وبشير كوكو حميدة⁽²⁾ ومحمد سعيد القдал⁽³⁾. والدكتور محمد ابراهيم أبو سليم⁽⁴⁾ وهو أبرز من كتب عن تاريخ المهديّة بجوانبها المختلفة، ومن خلال هذا البحث سنتناول تاريخ الدولة المهديّة من خلال كتابات أبو سليم.

أبو سليم النشأة والمراحل الدراسية:

ولد أبو سليم في شمال السودان في منطقة وادي حلفا في السادس عشر من شهر يوليو 1927م وقد بدأ تعليمه بخلوة الشيخ عبد الرحمن بدري وهو أحد أبناء الأسر الدينية العريقة بالمنطقة، ثم التحق أبو سليم بمدرسة عبري الأولية ثم بمدرسة حلفا الوسطى، وفي هذه المرحلة الدراسية المبكرة حدث تأثير كبير عليه حيث أتاحت له فرصة الاطلاع على وسائل المعرفة والثقافة التي كانت تزخر بها المنطقة. وكانت ترد الكتب والصحف إلى حلفا من الخرطوم علاوة على الصحف والمجلات المصرية وكان بمدرسة حلفا الوسطى مكتبة غنية وعامرة بامهات الكتب العربية بالإضافة إلى المناشط الطلابية المتمثلة في اقامة الندوات وإصدار الصحف الحائطية التي كانت مجالا للتنافس وإظهار المواهب وقد كان لأبو سليم نشاط واضح وملحوظ في أنشطة الجمعيات المختلفة⁽⁵⁾. وفي عام 1947م التحق أبو سليم بمدرسة وادي سيدنا حيث استفاد من تجربة الإختلاط بالمجموعات المتباينة ثقافة ولهجة، خاصة أن المدرسة كانت تضم طلاب من جميع أصقاع السودان المختلفة ومن بيئات متباينة جغرافياً وثقافياً بالإضافة إلى اهتمامات الطلاب الأساسية بالتحصيل الأكاديمي واكتساب المعارف العلمية بالإضافة إلى برامج التسلية ووسائل الترفيه المختلفة. وكانت مشاركة أبو سليم في جمعية القراءة بمدرسة وادي سيدنا أكثر وضوحاً مقارنة مع مشاركاته في الأنشطة الأخرى. وكان يقرأ كل ما يقع تحت يده من مطبوعات، فصار لديه محفوظ ضخم من الشعر والنثر والأمثال وقرأ لأدباء وكتاب كبار إلا ان تركيزه الأكبر كان على قراءة مؤلفات العقاد وظهر ذلك في كتابات أبو سليم الذي يميل إلى الاقتضاب والتركيز على الأسلوب والمنهج⁽⁶⁾.

ثم التحق بكلية الخرطوم الجامعية حيث تخرج في عام 1955م متخصصاً في التاريخ والتحق بخدمة محفوظات السودان والبلاد تتجه نحو الاستقلال فأصبح أول مديراً سودانياً لها، وتطورت على يديه لتصبح من اعظم دور الوثائق على مستوى العالم بفضل مجهودات أبو سليم والطاغم المؤهل ذو كفاءة أكاديمية وعملية فائقة، تعاقبوا للعمل في دار الوثائق القومية السودانية. وخلال حياته العملية ساهم أبو سليم في تنظيم دار الوثائق القطرية ودار الوثائق الإماراتية وترأس الجمعية التاريخية السودانية أكثر من دورة، كما ترأس عدداً من اللجان القومية، منها لجنة تقسيم المديرية الجنوبية والشمالية ولجنة تنظيم الخرطوم، وعمل استاذاً زائراً في جامعة بيرجن النرويج، وأشرف على عدداً من الرسائل الجامعية واستطاع بذكائه المعهود وإطلاعه الواسع ان يرشد إلى بعض الوثائق التي ساهمت بشكل حاسم في إعادة منطقة طابة، المتنازع عليها، من برائن اسرائيل إلى مصر، والمتبع لشخصية أبو سليم عندما يتحدث باللغة النوبية، وهي لغة أهله في شمال السودان، أول ما يتبادر إلى ذهن الشخص المستمع أنها اللغة الوحيدة التي يتحدث بها وكذا، الحال بالنسبة للغتين الإنجليزية والعربية⁽⁷⁾.

ومن خلال ما عرض نستطيع أن نخلص بأن المؤثرات التي ساهمت في بناء شخصية أبو سليم المؤرخ تتمثل في النقاط التالية:
أولاً: المنطقة والبيئة التي نشأ فيها في شمال السودان وهي منطقة ذات حضارة قديمة راسخة تعود إلى ما قبل الميلاد وجل أهل هذه المنطقة يهتمون بالتاريخ والآثار.

ثانياً: اكتساب المهارات العلمية والثقافية وذلك من خلال الأجواء التي تهيأت له من خلال المراحل التعليمية المختلفة التي درس بها.

ثالثاً: عمله بدار الوثائق السودانية والطاغم المعاون له.

رابعاً: صبره وحبّه للتاريخ والوثائق خاصة فترة المهدية.

كل هذه النقاط وغيرها ساهمت بشكل أساسي في شخصية أبو سليم الذي استطاع أن ينتج لنا هذه المجموعة العظيمة من المؤلفات التاريخية. نتجه معاناة طويلة وحميمة للمواد التي تناولها بالبحث وفي نفس الوقت استطاع أن يطوع معلوماته الواسعة وأن يجعلها في إطار الحدود الدقيقة للموضوع محل الدراسة ومن الواضح أنه قد تملك نواحي موضوعه وتضلع فيه تضلعاً تاماً، وقد تناوله في يسر وسلاسة وأظهر أنه مقتدر تماماً في الأوجه الفنية لموضوعه.⁽⁸⁾

وفي إطار الحديث عن بحوث أبو سليم في المهديّة تشير عواطف عمر عبد الله⁽⁹⁾ بأنّه عني بحكم المهنة وبحكم وجود الكم الهائل من وثائق المهديّة المحفوظ بدار الوثائق القوميّة بتاريخ المهديّة حيث تعامل بصورة مباشرة مع أدبياتها المؤلفة. والوثائق التي صدرت في عهدها.

أبو سليم وبحوثه حول المهديّة:

بدأ أبو سليم كتاباته عن تاريخ الدولة المهديّة من خلال رسالته التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ من جامعة الخرطوم، هذا البحث الذي قدمه في الأصل لنيل درجة الماجستير إلا أن اللجنة الممتحنة رأت أن هذا البحث يرتقي لدرجة الدكتوراه، وذلك لأصالته وجودته الذي اعتمد على الوثائق الأصليّة، وقد وصف البروفسير ب.م هولت، رسالة الدكتور أبو سليم بأنّه صرحاً شامخاً في البحث العلمي استخدم فيه الباحث مخطوطة النجومي كنواة لبحثه، وأقام عليها بناءً علمياً كبيراً أنطوى على معلومات حية اكتسبها عن المهدي أم عن خليفته أم عن أمراء المهديّة، وقد نجح إلى درجة كبيرة في أن يصور للقارئ فترة المهديّة بتياراتها ونظمها المختلفة، كأفضل ما يكون التصوير مما جعله حجة في تاريخ دولة المهديّة ومرجعاً لكل من يتناول هذه الفترة بالدراسة أو التحليل⁽¹⁰⁾. ويعتبر كتاب الحركة الفكرية في المهديّة أول كتاب يصدر للدكتور / محمد ابراهيم أبو سليم، وقد أشار في تصدير الطبعة الأولى بأن هذا البحث جزء من رسالة الدكتوراه، وهو في الأساس حول مخطوط توشكي المنسوب إلى الأمير عبد الرحمن النجومي ولكن الكتاب امتد ليشمل قضايا عامّة تتصل بالحركة الفكرية والثقافية في فترة المهديّة⁽¹¹⁾.

وقد أشار أبو سليم، بأن فكرة المهديّة فكرة قديمة وقد ظهرت في تاريخ الإسلام وهي تستند إلى بعض الأحاديث التي رويت عن النبي، وبعض تأويلات لبعض الآيات ويلاحظ أن لفظ المهدي نفسه لم يرد في القرآن، كما يلاحظ أن الأحاديث عن المهدي لم ترد في كتب الأحاديث المتشددة، كصحيح مسلم وصحيح البخاري وإنما وردت في الكتب غير المتشددة، كسنن أبي داؤود ابن ماجة والترمذي والنسائي. ومن الناحية الاجتماعية والسياسية، تعتبر المهديّة حركة ذات دلالة بعيدة لأنها مظهر من مظاهر المعارضة للنظم القائمة، تشدّد كلما أشدّ الظلم والاضطهاد، وكانت دائماً شعار المضطهدين والمغلوبين على أمرهم، وجنة موعودة ترضي خيالهم وتشبع رغباتهم المكبوتة

وطموحهم إلى المثالية المطلقة في العدل والقضاء المبرم على العدو. وقد سمع المسلمون في السودان كغيرهم من المسلمين بفكرة المهدي المنتظر، وانتظروا مجيئه أياً كان ظهوره، وقد وجدت فكرة المهدي المنتظر رواجاً في السودان في الربع الأخير من القرن التاسع، وأن الكثيرين قد باتوا ينتظرون ظهور المهدي وكان من الأسباب الداعية إلى ذلك الظلم الذي كان سائداً وسوء الإدارة التركية في السودان⁽¹²⁾. وخلال هذا الجزء من الكتاب أشار محمد أبو سليم إلى نشأة محمد أحمد المهدي وحياته بالإضافة إلى إعلان المهديّة ومسارها إلى وفاته، ثم تتناول جزئية أخرى عن الخليفة عبد الله وعصره والمشاكل التي واجهته، مشكلة الإشراف والثورات القبلية بالإضافة إلى تناول السياسة العامة لدولة المهديّة خلال فترة حكم الخليفة عبد الله إلى نهاية دولة المهديّة. وفي الفصل الثاني تناول المخطوطات التي ناقشت ودارت حول المهديّة والمهدي سلباً وإيجاباً بين علماء ذلك العصر:

1. قصيدة الشيخ محمد شريف نور الدائم.
2. رسالة الشيخ الأمين محمد.
3. رسالة شاكر الغزي.
4. رسالة أحمد الأزهرى.
5. رسالة الحسين زهراء.
6. رسالة العبادي.
7. رسالة أحمد العوام.

وأختتم الباب الأول بالفصل الثالث عن تصور المهدي واستدل أبو سليم ببعض منشورات المهدي حول هذا الموضوع: (...فعليكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فاعملوا بالقرآن والحديث الصحيح، فهذا الذي فن عليهما، واقتدوا بأقوالنا، ففي ذلك الوفاء بكل ما طلبتموه من الفرائض والسنن والأدعية وغيرها)⁽¹³⁾. وفي الباب الثاني ومن خلال فصوله الأربعة تناول أبو سليم العديد من الموضوعات الخاصة بالمهدي وآثاره خاصة مساره في التعليم من خلال الخلاوي التي درس فيها مما اهلّه أن يكون ذو ثقافة دينية عالية، وفكراً ثاقباً ومقدرة عالية في الكتابة، وكانت رسائله قصيرة تعالج كل منها موضوعاً واحداً، وبلغت تلك الرسائل من حيث البناء والأسلوب درجة عالية من الجودة، ولا تجد الرسالة في تاريخ السودان من الاحتفال ما بلغته على يد المهدي واتباعه (14)، وفي الباب الثالث من كتاب الحركة الفكرية في المهديّة

تناول أبو سليم أسماء الشخصيات التي كان لها أثر في دولة المهديّة من رجال دولة وعلماء دين، كما تناول في الباب الرابع الجانب الخاص بالوثائق والمؤلفات الخاصة بدولة المهديّة.

يعتبر كتاب الحركة الفكرية في المهدي بمثابة وعاء ضخم وضع فيه أبو سليم كل ما يختص بدولة المهديّة وكان هذا الكتاب بمثابة مقدمة أو تمهيد لجميع البحوث والكتب التي وضعها الدكتور أبو سليم عن دولة المهديّة. وأيضاً من الكتب التي وضعها أبو سليم نجد المرشد ألي وثائق المهديّة وهو كتاب يقع في مجلد كبير أشار فيه ألي مناطق وجود الوثائق الخاصة بالمهديّة في جميع أنحاء العالم تفصيلها:

1. وثائق مكتبة جامعة درم وهي مجموعة وثائق متنوعة محفوظة في الصناديق (29 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 36 ، 37 ، 98/2 ، 100/1/2 و 00/1/4 مجموعة المجذوب مجموعة الفيوضات الوهيّة، تصنيف عوض الكريم المسلمي ج 1-4 .
2. وثائق محفوظة في المتحف البريطاني وهذه المجموعة عبارة عن وثائق متبادلة بين غردون من جهة والمهدي وامرأته من جهة أخرى، وهي محفوظة على يوميات غردون(15).
3. وثائق جامعة كمبرج (انجلترا).
4. وثائق جامعة بيل (الولايات المتحدة الأمريكية).
5. وثائق دار الوثائق الفرنسية وهي معروفة بمجموعة باريس.
6. وثائق المعهد الافريقي بالقاهرة.
7. وثائق جامعة الخرطوم، مجموعة الجبري (مع تاريخ حسين الجبري).
8. وثائق الهند: وهي موجودة في المكتبة الاصفية في جنوب الهند، ولاية حيدر أباد.
9. وثائق مصلحة الآثار السودانية.

بالإضافة إلى الإشارة الي وثائق دار الوثائق السودانية وبعض الوثائق الخاصة بالدولة المهديّة التي يمتلكها أفراد ورد ذكر اسمائهم في هذا المرشد الذي أصبح الطريق الذي ينير ويوجه الباحثين في تاريخ المهديّة إلى الاتجاه الصحيح. وأيضاً صدر كتاب منشورات المهديّة عن دار الجيل بيروت في عام 1979م وهو يحتوي 107 من المنشورات والخطابات المتبادلة والتي أرسلها المهدي إلى أشخاص ومناطق متعددة بالإضافة إلى الفتاوي والمواظب الدينية

(16). وفي هذا الكتاب استطاع الباحث والمؤرخ أبو سليم تتبع النظم الإدارية والتيارات الفكرية لفترة المهدية، بحيث يخرج القارئ من خلالها بفكرة مجملّة وموثقة لفترة المهدية (17).

أما كتاب الآثار الكاملة فقد صدر في سبعة مجلدات، احتوت على ما صدر من المهدي مكتوباً أو مقولاً، ورتبها ترتيباً زمنياً وضبطها وحققها بدقة. وحوى الآثار الكاملة على فهارس علمية دقيقة للآيات القرآنية والأحاديث والإعلام والبلدان والاصطلاحات مما وفر عناء البحث عن أصول بعض الوثائق الأصلية والمصنفات للباحثين (18). ويمكن أن نوجز ما ورد في مجلدات الآثار الكاملة في النقاط الآتية (19):

الخطاب وهو مكتوب موجه إلى الأفراد وصغار الأمراء في أمور صغيرة وتشكل الأوامر الإدارية طرفاً كبيراً من هذه الفئة والأغلب من الخطابات كبيراً من هذه الفئة والأغلب من الخطابات من اعداد كتاب المهدي وبالأخص صغارهم. الرسالة وهي موجهة إلى شخصيات لها مكانة أو جماعات في قضايا ذات دلالة ارشادية ومثال لذلك كتاب الإنذارات وأغلب الرسائل بقلم المهدي وعداها من اعداد كبار كتابة، وتحتل الرسائل خبر مصدر لعلاقات المهدي ورجال المجتمع وفئاته.

المنشور ومنه المنشور الخاص الموجه إلى فئة من الناس كالمحاربين في جهة والمتعاملين في الأسواق وإلى الأمراء ومن دونهم في الرايات. فئة متنوعة كتوقيعات على الوثائق المرفوعة آلية وأهمه توقيعاته على مذكرات أمين بيت المال والحواشي عن مذكرات أمين بيت المال والحواش التي أضافها على ما كتب الكتاب. أدبيات دينية (منشور الصلاة ومنشور حياة الدين الكبرى ومنشور الصائم والأدعية والراتب)

الحضرات وهي سجل لحادث وقع في عالم الروح وترد في شكل الرؤى وهي موجودة في أغلب حضرات المهدي في ثنايا المراسلات مرتبطة بحوادثها وظروفها. الخطب وهي في الناحية الوعظية في موضوعات كالجهاد والزهد والتقوى والعمل للأخرى.

المرويات وهي أقوال رويت عن المهدي بعد وفاته:

ويعتبر الآثار الكاملة سفر عظيم ويساعد الباحث في معرفة الثورة المهدية، وتحديد الأبعاد الحقيقية لشخصية المهدي كقائد ثوري وإنسان عظيم واسع الأفق استطاع ان يوظف الطاقات الثورية للتصوف في تفجير ثورة عظيمة في تاريخ السودان الحديث وهي توحى بأفكار ودراسات كثيرة حول المهدية (20).

المرويات وهي أقوال رويت عن المهدي بعد وفاته:

ومن المخطوطات التي قام بتحقيقها ونشرها سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي من اعداد اسماعيل بن عبد القادر الكر دفاني (22). وقد اعتمد على الروايات الشفهية ممن شاركوا في الأحداث والوقائع بالإضافة إلى الوثائق المكتوبة. وهو يتناول نظرة المهدي والخليفة وقيادات الأنصار للحوادث والقضايا التي مرت بهم والمنظمات الذي نظروا به إلى الوقائع والأحداث (21). وأيضاً من الكتب التي قام بتحقيقها أبو سليم بالتعاون مع محمد سعيد القدال، مخطوط الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الجيوش. لمؤلفه اسماعيل عبد القادر الكر دفاني ويتناول الحوادث التي وقعت بين الأنصار والأحباش في منطقة القلابات ما حولها وداخل الأراضي الحبشية (22). وفي مؤلفه الختم الديواني في السودان أشار أبو سليم إلى الختم في عهد المهدي الذي كان علامة من علامات الاثبات الدالة على صحة ما جاء في الوثيقة وجعله في ذيل الرسالة، وكان شكل ضخم المهدي مسطح ترد فيه بعض النقوش وهو بمقبض يربط به وليس على خاتم يكون في الأصبع وقد استعمل المهدي أربعة اختتام متتابعة، كان الختم الأول خلال الفترة (1292 هـ / 1295 - 1875 م - 1878 م). وذلك عقب اجازة استاذة الشيخ محمد شريف لإعطاء الخلافة لمن يستحق من المريدين، ثم جاء الختم الثاني الذي حل محل الختم الأول في تاريخ غير معروف، وشكل الحجم مسطح بيضوي يبلغ طوله 2 سم وعرضه أقل عن ذلك قليلاً وهو شبيه الأول في نقشه تماماً وظل مستخدماً حتى 1299 هـ / 1882 م، أما الختم الثالث وهو مضلع الشكل ويبلغ طوله العمودي 26 ملليمتر وطوله الأفق 28 ملليمتر وقد نقش في وسطه اسم المهدي (محمد المهدي عبدالله) وفي أعلى الختم (لا إله إلا الله) وفي أسفله (محمد رسول الله) وفي الطرف الأيسر البسمة وفي الطرف الأيمن التاريخ وهو العام 1299 هـ - ، الختم الرابع كان دائري الشكل، وأبعاده أفقياً وعمودياً 22 ملليمتر ويتكون نقشه من أربعة أسطر، وبدأ العمل بهذا الختم في ربيع الثاني سنة 1301 هـ / يناير 1884 م وأستمر حتى وفاة المهدي. وقد استعمله الخليفة عبد الله بعد وفاة المهدي في محرراته حتى أواسط شعبان 1302 هـ ومن ثم اتخذ ختمه وهو بيضوي الشكل كتب فيه (حسبنا الله ونعم الوكيل) (23). وأيضاً من الكتب التي تناول فيها أبو سلم تاريخ المهدي كتاب (الأرض في المهديّة) (24). ومذكرات عثمان

دقنه - دفتر وقائع عثمان دقنه (25). وساهم أبو سليم بأبحاثه حول المهديّة في كثيراً من الصحف والمجلات المتخصصة وشارك بأوراق علمية في كثيراً من المؤتمرات نذكر منها على سبيل المثال (المؤتمرات العالمي لتاريخ المهديّة والذي عقد بالخرطوم 29 نوفمبر - ديسمبر 1981م) وكان عنوان الورقة العلمية التي قدمها أبو سليم (نعوم شقير وتاريخ المهديّة) وأيضاً له منشور في مجلة الخرطوم بعنوان (مراكز الثقافة في المهديّة) (26). ومن المخطوطات التي قام أبو سليم بتحقيقها عدداً من الرسائل لعلماء ذلك العصر الذين أيدوا المهديّة، ودافعوا عنها وقد ورد ذكرهم عندما تناولنا كتاب الحركة الفكرية في المهديّة، ونسبة لأهمية هذه المخطوطات رأينا أن نشير إليها ولو بطريقة مقتضيه. فقد نشر الدكتور أبو سليم فتاوي الحسين زهره، في كتاب بعد ان قام بجمعها وتحقيقها، حملت عنوان (عالم المهديّة، الحسين ابراهيم زهره).

تناول فيها السيرة الذاتية لهذا العالم الجليل في مقدمة الكتاب، كما تناول سلسلة من الفتاوي والمنشورات دفاعاً عن المهدي، وقد ظهر ذلك جلياً في الفتوى التي أوردها رداً على محمود الخبير وهو أحد كبار العلماء رداً على سؤال حول حقيقة المهدي والموقف الذي يراه فقال حسين زهرا! إن ادراك هذا الأمر يستحيل حتى على اقدر العلماء من امثال محمود الذي هو في مصاف الزمخشري، لأنه لا يقبل النظر بموازين العلماء من أصول وفروع وقياس واستنباط وما إلى ذلك من مقاييس العلم وذلك لأن مسند المهدي باطن مؤداه أنه تلقى المهديّة من الرسول مباشرة في صغره، كيف لنا ان نقيس هذا القول بمقياس العلم، أن مسند العلم ومسند المهدي لا يلتقيان وليس في مقدور العالم أن يؤيده او يعارضه بمقياس العلم، فالأمر أمر معرفة باطنية على منحي المهدي أو مجرد إيمان وليس امر يقوم ويذهب بأدلة بينها علم، ومن جانب فإن صدق المهدي قد ثبت بعلامات من أسرار ووقائعه بما لا يقبل التردد أو التشكك، فالسعيد من أتبعه والشقي من خالفه وهو ناصح له بما يتبع فلا يفوتن عليه النصح فيندم. (27) وفي معرض رد الحسين زهرا لدفع الله (28) يرى زهرا بأن محمد أحمد قد جاء بأمر يصعب القطع فيه على وجه اليقين، يستوي في ذلك العالم والجاهل وانه هزم كل ثوابت المجتمع وان الناس افترقوا بين مصدق ومكذب ومتحير، ولكن محمد أحمد رجل مأمون لا يظن فيه الكذب لما عليه من العراقة والديانة والأمانة. من نشأته وإلى قيامه بهذه الدعوة

وان الله أيده بعلامات من أسرارهِ وهو له المشيئة والقدرة ان يجعل سره حيث يشاء والقول الفصل فيه أنه يجب على كل مؤمن مبايعته ومرافقته ومؤازرته ومناصرته، فإن كان المهدي حقاً فزناً بهذه المرتبة العظمى. وان كان غيره فزناً معه على الإقبال على الله تعالى بالدين القويم والصراط المستقيم. فالهم عنده هو إقامة الدين القويم، اما الأمر الآخر أي مهديّة المهدي، فليس واثقاً منه وان كان يتفق في شخص المهدي ويرى ما يؤيد صدقه من علاماته⁽²⁹⁾.

أما كتاب نصيحة العوام والعلاقة بين الثورتين المهديّة والعربيّة للدكتور محمد ابراهيم أبو سليم فقد صدر عن شركة دار البلد للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع في طباعة شعبية وهذا الكتاب غير معروف لدى بعض الأكاديميين والعامة وقد أورد أبو سليم المخطوط الذي قام بتحقيقه محمد رشدي حسن عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة فرع الخرطوم، في الحركة الفكرية، وحول هذا الكتاب يرجع أهميته ويقصد في ذلك أحمد العوام إلى أهمية مؤلفه وأهمية ما يتضمنه من قضايا وموقف وأهمية ما اكتشفه أبو سليم من تدخلاته وتشويش، ويشير أبو سليم بأنه لولا التدخل لاكتف بما أورده في الحركة الفكرية في المهديّة من تقييم. ويشير أبو سليم بأن أحمد العوام كان لا يقر جانب المهدي من ثورة المهدي فإنه يرى في الحرب الفاتحة نمطاً من فساد السلطنة العثمانية والخيوية وإتجاهها إلى التسلط والجبروت بدلاً من الأحكام إلى الشرع والتعامل بما يقتضيه ازاء الخوارج والبغاة، على وجه الآية التي ينقلها. وقد جاء صوته مختلفاً عن أصوات غيره من المصريين في أنه يرى لأهل السودان حقاً في الثورة على الخديوي مثلما للمصريين وقد ذهب إلى أن الثورة المهديّة ليست ثورة بغاة أو خوارج وإنما هي ثورة الشعب كله، فكأنه أعطى من جانب الشريعة للشعب حق الخروج على الإمام إذا فسد واثبت حق أهل السودان على الثورة على حكم لا يرضونه، وهو لا يقبله المؤرخون المصريون إلى اليوم، وموقف العوام الثابت هو أنه ضد الخديوي في مصر والسودان، بينما مؤرخو مصر يهاجمون الخديوي في مصر ويدافعون عنه في السودان. ومع انه لا يؤيد فكرة المهديّة، فإنه يحترم المهدي وثورته من حيث انه يريد أن يحتكم في شأنها إلى العلم والعلماء ويحترم نفسه. إذ أرجأ حكمه حتى يقابل المهدي ويرى حاله ويكون على يقين مما يقول⁽³⁰⁾.

ويقع مخطوط (نصيحة العوام) في خطبه وخمسة فصول وخاتمه. إلا أن القدر الأكبر من الفصل الرابع ليس من العوام وإنما هو إضافة من الحسين زهرا والفصل الخامس كله من زهرا. أيضاً، وهناك تعقيب من زهرا على نصيحة العوام جاء ملحقاً عند طبعه عطية المهديّة الحرجية، اكمل به مشروعه ينقل النصيحة من موقفه الخاص إلى موقف موال إلى المهديّة (31) وفي هذا الكتاب أشار أبو سليم إلى آراء المؤرخون حول نصيحة العوام حيث كتب عنها كل من ابراهيم فوزي (32) ونعوم شقير (33) والقباني والدكتور محمد رشدي حسن والدكتور ابراهيم شحاته وقد أنتقد أبو سليم هذه الآراء (34) تم عرض أبو سليم المخطوطة كما هي ومن غير العادة في كتب أبو سليم كانت الحواشي والتعليقات والتعريفات في نهاية الكتاب بدلاً من أسفله. وكانت آخر الكتب التي دونها الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم هو (الخصومة في مهديّة السودان) طبع هذا الكتاب عقب وفاته. وقد احتوى هذا الكتاب على العديد من الرسائل المتبادلة ما بين المهدي وأنصاره من جهة ومعارضيه من جهة أخرى، كما احتوى الكتاب على الصراعات التي اندلعت في عهد الخليفة عبد الله التعايشي خاصة القبلية منها. وكانت فتوى علماء الخرطوم التي أصدرها مجموعة العلماء (الشيخ الأمين الضيرر رئيس علماء السودان، شاكراً أفندي الغربي مفتي استئناف السودان، موسى محمد مفتي الخرطوم وحسين المجدي مدرس العلم بجامعة الخرطوم، محمد خوجلي قاضي عموم السودان).

جاء في الفتوى: (فالله قاصم من عاند دينه، والمعاند للدين فيما يعني العلماء هو المهدي واتباعه، والسلام على من شادوا قواعد الدين وحفظته وخدامه المنافحين لها يقوم به المهدي من هدم) (35)

واحتوى كتاب الخصومة في مهديّة السودان على فتوى جماعة الأزهر الشريف التي صدرت في 18 ذو القعدة 1300 هـ / 20 ديسمبر 1883م الموقعون عليها (الشيخ محمد العباسي المهدي، شيخ الجامع الأزهرى وستة من علماء الشافعية وعشرة من علماء المالكية واحد عشر من علماء الأحناف) (36)

بدأ صلب الفتوى بالبسملة والحمد لله تم فقرة قصيرة من التمهيد للفتوى وبيان ما تنتهي إليه، وأنهم اطلعوا على الجواب فوجدوا ما تضمنه معارضاً للكتاب والسنة ومخالفاً لها عليه أئمة الأمة المحمدية، ثم ذهبوا يعددون الأمور التي ذكرها المهدي في رسالته واعتراضوا عليها واحداً

واحدًا. وبدأوا بالخال في خده الأيمن وقالوا انه مما يشترك فيه معه كثيراً من الناس، ثم قالوا أن راية النور التي يحملها عزرائيل في حالة حرب غير محسومة، وبالتالي لا يؤخذ بها ثم تكلموا عن الخوارق التي ذكرها وقالوا ان الخارق ليس دليلاً على الولاية وأنه لا ينتقص القواعد الكلية ولا تنبني عليها الأحكام الشرعية في وصول رؤيته للنبي بقوله وأخذ المهدي عنه أن رؤية النبي بعد موته ولو يقظه كرؤيته مناماً ولا مناط بها أحكام شرعية وحتى إذا تمت الرؤية وجرى ما ذكره فإن القاعدة الأساسية لا تكون الخلافة ولو للمهدي، إلا بمبايعة أهل الحل والعقد أو بعهد الخليفة الذي قبله وهذا ما لم يحصل للمهدي وأشار علماء الأزهر بأن الرؤية التي ذكرها المهدي تتعارض مع حديث السيدة ام مسلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حديث في تقديرهم قاطع لعروف الاشتباه في أمر المهدي. وقد بينوا فيه من علامات المهدي في مكان المولد ومكان الظهور وكيفية الظهور ومناسبته وكيفية البيعة له وما يحصل ذلك من أمور⁽³⁷⁾ وقد يرى العلماء المؤيدين للمهدي في تفنيد الرد على هذه الفتوى، وقد أشرنا إليها سابقاً ولذلك نرى لا داعي للتكرار.

الخاتمة:

ساهم أبو سليم ومن خلال أبحاثه المتنوعة، في توفير الوثائق الخاصة عن تاريخ المهدي واستطاع من خلال هذه المؤلفات التي تناولت جوانب مختلفة عن الحركة الفكرية للمهدي جذورها ومصدرها وأسباب قيامها بالإضافة إلى شخصية المهدي ومن معه وإبرازه الدراسات في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيأن يوفر الباحثين عناء البحث والسفر عن تاريخ هذه الحركة الوطنية ذات الطابع الديني.

النتائج :

تعتبر كتابات ابو سليم عن المهديّة المصادر الاولى بعد الوثائق اذا اعتمد بشكل اساسي علي الوثائق الاصلية التي توفرت لديه .

التوصيات :

لابد من اعادة طباعة بحوث وكتب ابو سليم حول المهديّة والتي نشرت في القرن الماضي ، ايضاً لابد من ترجمتها الي عدد من اللغات العالمية .

المصادر والمراجع:

- (1) ولد في وسط السودان، عمل بجامعة الخرطوم له العديد من المؤلفات التاريخية منها السودان عبر القرون، السودان في قرن، السودان والثورة المهدية.
- (2) عمل استاذاً للتاريخ في جامعة أم درمان الإسلامية، له من المؤلفات (السودان في عهد الخديوي اسماعيل) السودان خلال فترة الحكم التركي والمهدية.
- (3) عمل استاذاً للتاريخ في جامعة الخرطوم له العديد من الكتب المنشورة (تاريخ السودان الحديث) (الإمام المهدي لوجه لتأثر سوداني) (المهدية والحبشة) (السياسة الاقتصادية للدولة المهدية).
- (4) ومن أبحاثه الأخرى (تاريخ الخرطوم) (الساقية) (الفونج والأرض) (الفور والأرض) (أدوات الحكم في السودان).
- (5) عواطف عمر عبد الله، البروفسير محمد ابراهيم أبو سليم، تحية في يوم تكريمه، الخرطوم 1998م، ص 5-6.
- (6) المرجع نفسه، ص 7.
- (7) عبد العزيز محمد موسى، المؤرخ السوداني محمد ابراهيم أبو سليم، تاريخ الوثائق في السودان، مجلة العربي العدد 655، نوفمبر 2008م، ص 23.
- (8) نقلاً عن غلاف كتاب الحركة الفكرية في المهدية الطبعة الثالثة 1989م.
- (9) تخرجت في جامعة الخرطوم وعملت في دار الوثائق السودانية وتقلدت العديد من المناصب الإدارية فيه إلى ان وصلت نائب الأمين العام لدار الوثائق وهي من الذين ساهموا بشكل كبير في مؤلفات أبو سليم، سواءاً بتصحيح اللغة العربية أو الترجمة إلى اللغة الإنجليزية وهي التي أعدت كتاب البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم تحية في يوم تكريمه عام 1998م، وقد اعتمد عليه الباحث كثيراً.
- (10) عواطف عمر عبد الله، المرجع السابق، ص 16.
- (11) محمد ابراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989م.
- (12) المرجع نفسه، ص 17، 11، 19.
- (13) المرجع نفسه، ص 86.

- (14) المرجع نفسه، ص 97 - 98.
- (15) محمد إبراهيم أبو سليم، المرشد أي وثائق المهديّة، دار الوثائق المركزية 1969م، ص2.
- (16) محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية 1979م.
- (71) عواطف عمر عبد الله، المرجع السابق، ص 19.
- (18) المرجع نفسه، ص 19 - 20.
- (19) محمد إبراهيم أبو سليم، الآثار الكاملة للإمام المهدي، دار جامعة الخرطوم للنشر، المجلد الأول، ص 15، 16، 17.
- (20) تاج السر عثمان الحاج، دراسات في التاريخ الاجتماعي للمهديّة 1881-1898م
- (21) مركز عبد الكريم مغني، 2010م، ص 199.
- (22) عواطف عمر عبد الله، المرجع السابق، ص 20.
- (23) المرجع نفسه، ص 20.
- (24) محمد إبراهيم أبو سليم، الختم الديواني في السودان، المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف، 1983م، ص 53، 52، 54.
- (25) نشر عام 1970م ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم.
- (26) نشر هذا الكتاب عام 1975م، دار جامعة الخرطوم للنشر.
- (27) محمد إبراهيم أبو سليم، مراكز الثقافة في المهديّة، مجلة الخرطوم، 6 يناير 1968م.
- (28) محمد إبراهيم أبو سليم، عالم المهديّة، الحسين إبراهيم زهرا وأعماله ، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م ، ص 33-34.
- (92) من العلماء المشهورين في ذلك الوقت وكان ذو مكانة عالية في العلم وهو من المعارضين للمهديّة.
- (30) محمد إبراهيم أبو سليم، عالم المهديّة الحسين إبراهيم زهرا، المرجع السابق، ص 35.
- (31) محمد إبراهيم أبو سليم، نصيحة العوام والعلاقة بين الثورتين المهديّة والعربيّة، شركة دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، ص 1-2.
- (23) المرجع نفسه، ص 3.

- (33) عسكري مصري عمل بالسودان أصدر كتاب السودان بين يدي غردونوكتشنر.
- (34) سوري جاء إلى السودان وكان يعمل في الاستخبارات له كتاب (جغرافية وتاريخ السودان).
- (53) محمد ابراهيم أبو سليم، نصيحة العوام، المرجع السابق أنظر الصفحات 18، 19، 20.
- (63) محمد ابراهيم أبو سليم، الخصومة في مهدية السودان كتاب في تاريخ فكرة المهدية اسلامياً وسودانياً إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، 2001، ص 312.
- (37) المرجع نفسه، ص 317..